# لا تطفئوا الروح

جورج ن. نحاس – ٢٠٠٤

هذا الكتاب مجموعة مقالات امتدت على سنين طوال، كانت حياتي فيها ملتصقة بحياة الكنيسة الأنطاكية وبالأرثوذكسية العالمية. فأتت جميعها نتيجة معاناة وجودية أكسبتها في بعض الأحيان نفَسا احتجاجيا. لذلك سيعذرني قارئي إذا وجد في كلامي، عبر كل هذه السنين، الكثير من النقد (دون أن أقع في الانتقاد)، ومن اللوم (دون أن أقع في تجربة إطلاق الأحكام)، ومن التوبّات المستقبلية (دون أن أقع في الأحلام). فأنا مقتنع حتى العظم بأن الله حي، وبأن الكنيسة واقفة أمامه، وبأنها ستحاسب، كما سيحاسب كلّ منا على وزنات أُغدقت عليها وعلينا نِعما فوق نِعم، لذلك أطلب أن "لا يطفأ الروح".

يقع هذا الكتاب في خمس مجموعات أساسية يشكّل موضوع أمانة الكنيسة لعلّة وجودها الخلفيةَ الأساسية لكلّ منها، لكن بشكل متدرج ومتنوع تبعا للهدف الذي وراء كلّ مجموعة. وأنا أقدم لكلّ مجموعة من هذه المجموعات بمدخل هو بمثابة مقال صغير لا يختصر ما سيأتي لاحقًا في الفصل، لكن يعطي فكرة عن توجهات مضمون هذا الفصل من حيث بعده الحياتيّ.

القصد من القسم الأول من الكتاب، وهو بعنوان "الكنيسة جماعة الإله الحي"، هو توضيح الفكرة الأساسية للكتاب كما سبق وأشرت إليها. فالكنيسة في التاريخ مصلوبة مع سيدها، ولا خيار لها بذلك. وفيما الكنيسةُ مشدودة إلى العالم بسبب "لحمية" أعضائها، تبقى مدعوةً لتكون العروس البهية لله الحي.

أما القسم الثاني من الكتاب فهو يطرح موضوع "الوحدة في الكنيسة". وحرف الجر هنا مقصود، لأنّ همّي هو التفتيش عن كلّ ما يجمع المنتمين إلى الجسم الواحد ويجعل منه وحدة متراصة. من هنا التشديد في هذا القسم على مرجعية الوحدة في الكنيسة وأهمية "التيار النهضوي" فيها، هذا التيار الذي هو غير قابل للتنظيم، لكنه متجذّر في القداسة الممتدة عبر التاريخ والتي يحملها بصمت وتفان شعب الله المؤتمن على البشرى السارة.

القسم الثالث من الكتاب هو بعنوان "رعاية شعب الله". يتطرق هذا القسم إلى الإشكاليات الرعائية المطروحة على الكنيسة في حياتها الداخلية.

القسم الرابع من الكتاب يطرح إشكالية علاقة الكنيسة بالعالم تحت عنوان "الكنيسة الشاهدة لله الحي". لطالما أبقينا اللاهوت في برج عاجي (على حد قول المثلّث الرحمات الأب ألكسندر شميمن). هل القضية الاجتماعية هي في صلب معاناتنا اللاهوتية؟ أم هي ترف فكري؟ أم هي نشاط اجتماعي وسياسي لبعض المتحمسين؟ يطرح هذا القسم بعض الأفكار في هذا المجال مع بعض الأمثلة الحسية حول الوضع في لبنان. إنّ تبدل الزمن لا يقلل من أهمية المفاهيم التي يقوم عليها.

أما القسم الأخير من الكتاب فهو يتكلّم على "استقامة الرأي" من حيث مسؤولية الكنيسة الأرثوذكسية في العالم المسيحي. ففي مطلع قرن جديد، وبعد قرن قسا على الكنائس الأرثوذكسية بشكل

رهيب، تقف هذه الكنائس على عتبة تحولات إنسانية، وتقانية، وفكرية عارمة. وتشد الكنيسةَ الأرثوذكسيةَ إلى الوراء مجموعةٌ هائلةٌ من ترسبات تاريخية لا نجد سبيلاً إلى تخطّي التافه منها، والاستفادة مما هو إيجابي فيها للانطلاق في مسيرة شهادية جديدة.

في الختام أورد نصا بعنوان "كلّ ألفية و"مسيحية ما" بألف خير!"، وهو صرخة ألم حتى تستعيد المسيحية هويتها كمؤتمنة على كشف الله الحي للعالم. كيف نكون في العالم ولا نكون منه. نشاركه هواجسه وألمه ومتاعبه، لنقدم له الخلاص. ونعف عن مغريات اللحمية المتغلغلة فيه، فنعرف كيف نقيه منها. فهل تعطي الألفية الثالثة للمسيحية الفرصة لتتوب عن كل ما مزقها في الألفيتين الماضيتين؟ هل نشعل الروح مجددا ونترك لمواهبه أن تتفعل وتتفاعل؟

هذا ما نرجوه من هذا الكتاب.